

أهمية الترجمة في الحفاظ على المخطوط العربي

The importance of translation in safeguarding the Arabic manuscript

بلعدي أسماء

جامعة عبد الحميد بن باديس بمستغانم (الجزائر)، asma.belabdi@univ-mosta.dz

تاريخ النشر: 2021/06/30

تاريخ القبول: 2021/05/20

تاريخ الاستلام: 2021/05/09

ملخص

عُرف العرب منذ العصور الإسلامية الأولى بولعهم بالكتب و المخطوطات حيث كانت المكتبات تنمو في كل مكان كالأعشاب وكان إقبالهم على الكتابة والتأليف إقبالاً منقطع النظير لم تضاهيه شعوب كثيرة أخرى كانت تمتلك آنذاك من مقومات الحضارة ما يؤهلها لذلك. ومع ازدهار حركة الترجمة والتأليف في العصر العباسي، أقبل الكثير من العلماء العرب والمستشرقين على ترجمة الكتب والمخطوطات إلى لغات أخرى لإبراز مكانة الحضارة العربية الإسلامية وإثراء الحضارات الأخرى. تلعب الترجمة دوراً مهماً في تعزيز حوار الثقافات لإعادة التواصل والتلاقي وبناء جسر ثقافي بين اللغات من أجل التلاقح الحضاري، وبفضلها تمكنا من التعرف على آداب وثقافات مختلف الشعوب وتسهيل الحوار الحضاري بينهم وكذا الاستفادة مما توصل إليه الآخرون في ميادين شتى. من هنا تبقى ضرورة ترجمة المخطوطات مسألة قصوى وبالأهمية في إبراز التراث الثقافي للشعوب باعتباره من مقومات المجتمعات الإنسانية، ومزج المقومات التراثية والتاريخية بالأنشطة الإنسانية المعاصرة. كلمات مفتاحية: الترجمة – المخطوط – الحوار – الحضارات – الثقافة.

Abstract

Since the early Islamic era, Arabs were eager for books and manuscripts. The libraries had sprung up everywhere like mushrooms. Their demand for writing had been unprecedented by any other people who possessed the foundations of civilization. As the translation and writing movement flourished in the Abbasid era, many Arab scholars and orientalists came to translate books and manuscripts into other languages to highlight the status of the Arab-Islamic civilization and to enrich other civilizations.

Translation plays an important role in an intercultural dialogue. It introduces cultures to each other, modifying their image of each other, enriching them and finally contributing to their construction.

It is a commonplace fact that translation deals not only with a language difference, but with a cultural difference as well, trying to build bridges between both cultures involved in a dialogue. Thus translation becomes a bridge between cultures inspiring their further dialogue and making it possible. More the translations there are, better the chances for the intercultural communication and understanding. Translation not only introduces new texts into a target culture, but transforms and reshapes the culture and its norms, enriching the culture, on the one hand, and facilitating its intercultural potential, on the other.

Key words: Translation – Manuscript – Dialogue - Civilizations – Culture

مقدمة

كانت المخطوطات أو "الكتب المخطوطة" منتشرة جداً في الماضي، وقد أخذها العرب من الصينيين وأصبحت بعدها تشكل ركيزة أساسية من ركائز التراث الوطني لمختلف البلدان العربية، والحفاظ عليها يعني الحفاظ على الهوية القومية وعلى الثقافات الإنسانية المختلفة، فبفضلها تمكّن الإنسان من تدوين ثقافته ومعارفه في شتى العلوم وتمكن من خلالها من الاطلاع على تاريخ وحضارات الأمم، فالمسلمون العرب كانوا يستعملونها في كتابة القرآن الكريم والسنة النبوية وكذا في تدوين التشريعات والقوانين، كما استعانوا بها لتوثيق الأحداث المهمة التي وقعت في عهدهم.

لقد أعار العرب والمسلمون للكتاب المخطوط فائق العناية والاهتمام كونه يشكل جزء مهما من الذاكرة الجماعية، وخير دليل على ذلك ما خلفوه من تراث عربي مخطوط ضخم لم يتوفر عند سواهم، لذا تعتبر حمايته ودراسته ونقله للأجيال القادمة استراتيجية في مجال كتابة التاريخ العلمي والثقافي (هونكه، 1981، صفحة 583).

وأقبل العرب بفضل ازدهار حركة الترجمة على النسخ واقتناء الكتب والعناية بها واستطاعوا التعرف على حضارة الأمم الأسبق تحضراً، لاسيما الحضارة الإغريقية التي انطوى تراثها على أصول عديدة من مصر القديمة وحضارات الشرق.

كما يعود الفضل أيضاً للترجمة في انتقال التراث اليوناني إلى السريان ثم إلى العرب، ومن ثم إلى اللاتينية واللغات الغربية المعاصرة، وقد كان لها دور لا يستهان به في الحفاظ على التنوع والتعدد الثقافي وكذا التقارب بين الشعوب والحضارات، لأنها لطالما كانت توقّر القاعدة الصلبة لأي انطلاقة حضارية من خلال انشاء قاعدة معرفية، فالأمم لا تبدأ من الفراغ بل بالاستعانة والرجوع إلى المترجمات التي ليست إلا عبارة عن تجارب وخبرات ومعارف الأسبقين محفوظة بين طيات الكتب.

لطالما رمت الترجمة إلى بناء جسور التواصل بين الشعوب والحضارات على مر التاريخ لتعزيز التلاقي والتبادل بين الحضارات وتسهيل التواصل بين الأمم وفتح الأبواب على ثقافات أخرى، كما لا يفوتنا دورها في إثراء اللغات وجعلها حية على الدوام.

إلا أننا لاحظنا في الآونة الأخيرة تراجعاً كبيراً في حركة ترجمة وتحقيق المخطوطات، ويعود ذلك إلى تراجع مكانة الثقافة العربية الإسلامية في شتى الميادين، خاصة مع ضعف الإعلام العربي والغزو الثقافي للغرب، لذا فعلى الباحثين اليوم تسليط الضوء عليها والسعي إلى إيجاد أفضل السبل للنهوض بترجمة المخطوطات.

1. تعريف المخطوط أو الكتاب المخطوط

شكل 1

ورقة من مصحف. رق القبروان. القرن الرابع الهجري، الحادي عشر الميلادي.



ورد تعريف ومعنى المخطوط في معجم المعاني الجامع على أنه: كتاب أو نص مكتوب باليد لما يُطبع بعد، وهو اسم مفعول من خَطَّ، مؤنث مخطوطة وجمع مخطوطات. (<https://www.almaany.com/>، 2010-2021)

وجاء في كتاب "أساس البلاغة" للزمخشري استخدام هذه الكلمة: "خطّ الكتاب يخطه"، ولا تخطه بيمينك"، و"كتاب مخطوط" (القاسم، 1998، صفحة 244)، وهنا لا يقصد بذلك ما نطلقه اليوم على الكتاب المخطوط بخط اليد، بل إنه يعني مكتوب أي منسوخ، أي اسم المفعول من: خطّ، أما "لسان العرب" لابن منظور فورد فيه: وخطّ القلم أي كتب. وخطّ الشيء يخطّه خطأً: كتبه بقلم أو غيره، وقوله: "فَأَصْبَحَتْ بَعْدَ، خطّاً، بَهْجَتِهَا كَأَنَّ، قَفَرًا، رُسُومَهَا، قَلَمًا". أراد فأصبحت بعد بهجتها قفراً كأنّ قلمًا خطّ رسومها. وفي حديث معاوية بن الحكم: أنّه سأل النبي، صلى الله عليه وسلّم، عن الخطّ فقال: كان نبي من الأنبياء يخطّ فمّن وافق خطّه علّم مثل علمه، وفي رواية: فمّن وافق خطّه فذاك. والخطّ: الكتابة ونحوها مما يُخطّ. (ابن منظور، 1988، صفحة 858)

أما في جانب الاصطلاح، فالمخطوط لم يقف أيضا على تعريف اصطلاحي محدد، عدا بعض الاجتهادات التي تقارب تعريفه، وتبحث عن تحديده، (وقد عرف بعضهم المخطوطات على أنها: مؤلفات العلماء ومصنفاتهم، وقال أنها: لفظة محدثة بعد حدوث الطباعة، لهذا لا تجد ذكرا لهذه الكلمة "المخطوط" أو "المخطوطات" في كلام المتقدمين، وإنما حدث هذه اللفظة بعد دخول الطباعة، فأصبحت الكتب تقسم إلى قسمين: مخطوطات/ مطبوعات). (بن الصغير، 2016)

وقد اختلف أهل العلم في تعريف (المخطوط)، فعرفه بعضهم: (ما كتب بخط اليد قبل ظهور الطباعة)، إلا أن هذا التعريف غير دقيق وذلك لعدم ذكر تاريخ محدد، حينما قالوا: (...قبل ظهور الطباعة)، فالطباعة وجدت منذ خمسمائة عام...، وعلى هذا تخرج من التعريف آلاف المخطوطات الإسلامية المنسوخة والمكتوبة بعد ذلك التاريخ.

فما حُطّ منها باليد سُمي مخطوطا، وما طُبِعَ منها سُمي مطبوعا، الأمر الذي أدى إلى تضارب تعريفاته واختلافها ما بين الباحثين والمهتمين فقال بعضهم:

"المخطوط ما كتب بخط اليد قبل دخول الطباعة" (الراجحي، 2010)، وهو التعريف ذاته الذي نجده باللغة اللاتينية:

"Le mot français manuscrit vient Du latin manu scriptus « écrit à la main », le mot «manuscrit» désigne un document entièrement écrit à la main. Avant l'invention de l'imprimerie en Occident au XV^{ème} siècle" (Musée Médard)

"تنحدر كلمة مخطوط من اللغة اللاتينية "ماني سكريبتوس" وتعني ما حُطّ باليد، وتدل كلمة مخطوط على ما تم كتابته كليا باليد، قبل اختراع الغرب للطباعة مطلع القرن الخامس عشر" (ترجمتنا).

ومن الباحثين والمهتمين بأمر المخطوط من يستأنس لمصطلح "الكتاب المخطوط" دون "المخطوط" فقط، فبالنسبة إليهم ليس كل ما كتب باليد يعتبر بالضرورة مخطوطا، فشواهد القبور وما نقش على الأحجار وما نقر على الصخور لا يمكن اعتباره مخطوطا.

2. علم المخطوط

إنَّ "علم المخطوط" مرادف المصطلح المقترض "كوديكلوجيا" Codicologie " وهو نحت للفظة اللاتينية "Codex" أي كتاب واللفظة اليونانية "Logos" ما يعني علما، ويرجع الباحثون والمنشغلون على المخطوط وعلم المخطوط ظهوره إلى الباحث الفرنسي "دان A. Dain" كما جاء في كتاب "مدخل إلى الكوديكلوجيا" "Introduction à la Codicologie"، وعرف في "معجم مصطلحات المخطوط العربي" (أحمد شوقي بنين - مصطفى طوبي، 2005، صفحة 35) بالمفهوم الحديث وهو دراسة المخطوط بوصفه قطعة مادية غير انه علم غلب عليه الجانب التاريخي والفهرسي وأطلق عليه أيضا "اركيولوجيا الكتاب المخطوط" نقلا عن كتاب: "مقالات في علم المخطوط" بالإضافة إلى تسميته "بعلم الوراقة" في مخطوطات بعناوين مفقودة، على نحو: "تنويق النطاق في علم الوراقة" وغيرها من المقالات ويحصره الحلوي في مؤلفه: "نحو علم مخطوطات العربي" (الحلوي، 2004، صفحة 56) في ستة عناصر: "تاريخ المخطوط" و"الكيان المادي للمخطوط"، و"تقيم المخطوطات، ومعايير تقييمها" و"الحفظ والصيانة، وأساليب التعقيم والترميم والتصوير"، و"الفهرسة والضبط الببليوغرافي"، و"التحقيق والنشر". ما أطلق عليه "مصطفى الطوبا" أستاذ وباحث بجامعة ابن زهر أكادير المغرب "بملحة المخطوط العربي" (مؤلفين، 2014، صفحة 18). من منطلق أن علما كهذا يضع الباحث أمام إشكالية بساطة العلم الواحد بمنهج محدد في مقابل تعدد العلوم، ومن ثم تعدد المناهج والمقاربات من منطلق التعريف الاستمولوجي للعلم على أنه: تلك المعرفة المدققة والمعمقة محددة الموضوع والمنهج. (الفلّاح، 2013، صفحة 16)

ونجد أنفسنا كباحثين في دراسات الترجمة أمام "ملحة مصطلح المخطوط وعلم المخطوط"، وهي احد الإشكالات ومعضلات البحث العلمي التي تؤرق الباحثين في الترجمة والمصطلحين وتعيق عملية الترجمة من وإلى اللغة العربية، ما يمنع عجلة البحث والكتابة العلمية المتخصصة باللغة العربية، والتي سنأتي على ذكرها عند التطرق لبراعة أكبر مترجمي وناقلي المادة العلمية المخطوطة في العصر الذهبي للحضارة العربية الإسلامية ألا وهو "حنين ابن إسحاق". (غوتاس، 2003، صفحة 21)

ونرى من العناصر سالفه الذكر أنه عندما تصادف المترجم المعتمد اليوم وثيقة مخطوطة فإنه يشتغل على محوري التحقيق والنسخ أو النسخة "La transcription" بكل ما تحمله كلمة "نسخة" من معنى، إذ أن المصطلح كما جاء في كتاب: "علم المخطوط العربي بحوث ودراسات" (مؤلفين، 2014) يشير إلى بداية النص ونهاية النص وجرى المتن، أي ما كتب في المخطوط وليس من النص بمفهومه اللساني الدقيق باعتباره مجموع البنيات النسخية التي تتضمن الخطاب وتستوعبه في إطار المعايير النصية المعروفة من اتساق Cohésio، وانسجام Cohérence، وقصدية Intentionnalité، ومقبولية Acceptabilité، وإخبارية Informativité، وموقفية Situationnel، وتناسق Intertextualité.

1.2. علم المخطوط في الحضارة العربية الإسلامية

عرف علم المخطوط تطورا دائما ومتواصلا على مر العصور والأزمنة إلى أن أصبح اليوم من الميادين العلمية القائمة بذاتها ويرجع ذلك إلى الحركة العلمية والبحثية التي مسته كما مست مجالات أخرى من العلم والمعرفة، حيث تم تأسيس مدارس تساهم اليوم في وضع وتطوير الجانب النظري والتطبيقي للعلم المخطوط، وقد شكل العرب المسلمون حلقة تاريخية مضيئة من تاريخه بمساهماتهم في كتابته والتهوؤ به، إذ أنهم عملوا على وضع الدعامات الأولى التي عادت الطريق لكي يسير ركب المخطوط نحو النهضة وفكر العصور الذهبية للعلم والمعرفة، ولعل خير دليل على ذلك ما قدمه الطبيب والكيميائي المعروف أبو بكر الرازي (المتوفى سنة 312 هـ / 925 م) في "زينة الكتبة" وهو مخطوط أصيل صغير الحجم يتكون من ست (6) ورقات غير أنه كبير الفائدة، ويمتاز هذا المخطوط إلى جانب قيمته الفكرية والتاريخية بكون من ألفه أحد الأعلام المشهورة المتخصصة مقارنة بأغلب النصوص التي جاءت بعده، وأوردت المصادر اسم: "زينة الكتاب" بدل الكتبة، على نحو ما جاء في كتاب "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" لابن أبي أصيبعة، و"هدية العارفين" للبغدادي (زكي، 2018).

تبرز هذه المخطوطات جانبا مهما من جوانب إسهامات الحضارة العربية الإسلامية التي لم تهتم فقط بالعلوم الدينية والمعارف العقلية، وإنما اهتمت كذلك بصناعة المخطوط؛ مخزن المعارف وسجل التجارب والخبرات في الحضارات السالفة.

لذا، ينبغي علينا نحن العرب أن نقوي صلتنا بتراثنا وأمجادنا وذلك بالمحافظة على تراثنا المخطوط وتنظيمه وترجمته إلى الحضارات الأخرى وكذا حتّ الأجيال على التمسك به وأن لا تدعه يندثر ويضمحل في ظل العولمة، وحينئذ لن تشكل خطرا على ثقافتنا العربية.

2.2. أهمية المخطوط والكتاب المخطوط

يحتل المخطوط والكتاب المخطوط أهمية بالغة اليوم نظرا لفائدته التاريخية والعلمية، حيث كان له دور أساسي في تغيير نظرتنا عن الحضارات والثقافات السابقة من اعتبارها بدائية ومحدودة التطور إلى متميزة ومتفردة بذاتها. ولو سلّمنا بأن بعض المخطوطات والكتب المخطوطة تطبع طباعة جيدة متقنة مُصحّحة، فإن ذلك لا يغني عن المخطوطات والكتب المخطوطة، فالمخطوط يبقى شاهدا على صدق وسلامة المطبوع وصحته، وعدم تحريفه، أو تزويره، أو الزيادة فيه، أو النقص منه. وكلما زاد عدد المخطوطات للكتاب زادت الشهادة على إتقان المطبوع وصحته أو عدمها. (الراجحي، 2010)

3.2. أنواع المخطوطات العربية الإسلامية

تنقسم المخطوطات العربية من حيث طبيعتها إلى ستة أقسام: (شريف، 1980، الصفحات 23-26)

• النوع الأول/ المخطوط الأم

وهو المخطوط الذي كتب بخط مؤلفه، وهذا النوع من المخطوط ليس فيه مشكلة، وقد كان يصنع المؤلفون العرب نسخهم الأم بخزانة دار الخلافة حتى تصبح مراجعتها ومقابلتها سهلة ميسورة.

• النوع الثاني/ المخطوط المنسوب

وهو المتولد من المخطوط الأم والمقابل عليه، ويتم التعامل معه بنفس الدرجة من الصحّة، وهو أيضا مخطوط سليم ولا شك فيه.

• النوع الثالث/ المخطوط المهيمن

يمكن أن نقوم بتسمية هذا المخطوط بالمعيب أو المقطوع لأن نسبته ترتفع إلى المخطوط الأم، ولا يمكن أن نثق في صحته، كما يوجد به عيوب أخرى كنقصان الورقة الأولى التي تتضمن اسم المؤلف

والعنوان، أو من الممكن أن يكون فيه تأخير أو تقديم أو تكرار، أو قد يكون به فساد في تصوير حروفه وسبيل تصحيحه أن تحلل جميع حروفه بالمقابلة مع المخطوط لمعرفة موضوعه. وقد نصادف في النص إشارات إلى المؤلف أو اسمه، وإلا فيجب الرجوع إلى كتب المصادر لمعرفة ما قد أُلّف في موضوع الكتاب فقد يمكن التخمين ثم الاهتداء إلى معرفة المؤلف أو الكتاب وفي هذا الحال يجب التأكد من ذلك بالرجوع إلى المصادر القديمة (الكعك، 1964، صفحة 03).

• النوع الرابع/ المخطوط المرحلي

وهو الذي يُؤلف وفق مراحل، فيؤلف أول مرة على شكل وينشر بين الناس ثم يضيف المؤلف إضافة تزيد على ما في المرحلة السابقة ومثال ذلك "إتحاف الأعزة في تاريخ غزة" لعثمان الطباع وكتاب "وفيات الأعيان" لابن خلكان.

• النوع الخامس/ المخطوط المصور

نلاحظ في العديد من الدراسات التي تتعلق بالفنون الإسلامية أن معظم المخطوطات مُصوّرة، ودراسة هذا النوع من المخطوطات يحتاج معرفة أمور التصوير ووجود خبرة فنية للتعرف على ما تتضمنه الصور من تغييرات فنية وأخرى كتابية.

• النوع السادس/ المخطوطات على شكل مجاميع

توجد مخطوطات كثيرة تدخل ضمن اسم مجموع أو مجاميع وقد يكون المجموع مجلداً يضم عدداً من المؤلفات الخطية أو الأجزاء الصغيرة أو الرسائل، في هذه الحالة يجب اعتبار كل مؤلف أو رسالة أو جزء في المجموع مخطوطاً قائماً بنفسه وتتم فهرسته كما يفهرس أيّ مخطوط آخر ولكن يشار عند ذكر رقمه أنّه مجموع رقم كذا ويذكر بين قوسين الورقة التي يبدأ بها وينتهي بها. (شريف، 2008، صفحة 411)

3. ترجمة المخطوط أساس التبادل العلمي والتلاقح الحضاري:

لم تأت نهضة الحضارة العربية الإسلامية من فراغ كما اجمع عليه اغلب المؤرخين والكتاب على اختلاف مشاربهم ومناهلهم بل كانت هناك العديد من العوامل، منها المادية والبشرية والثقافية، التي شكلت دافعا قويا لقيام حضارة عربية إسلامية رائدة ومزدهرة امتد تأثيرها إلى باقي أنحاء العالم.

من أهم وأبرز ما ميّز هذه النهضة ازدهار حركة ترجمة المخطوط في العالم العربي الإسلامي، ولقد انصب اهتمام الترجمة على البحث عن المصنفات العلمية والمعرفية ولولا الترجمة لما وصلتنا أمهات الكتب اليونانية ولما اضطلعنا عليها من مصنفات "أبقراط" و"جالينوس" وغيرهم، وذلك في ظل المعطيات التاريخية التالية: كثرة الفتوحات الإسلامية، واتساع رقعة الدولة العربية الإسلامية، واندثار الحاجز الاقتصادي والثقافي المتين الذي كان يفصل العالم، فتوحد بذلك الشرق والغرب، بالإضافة إلى دخول صناعة الورق إلى العالم العربي الإسلامي على يد الصينيين فحل الورق محل المواد الكتابية الأخرى وخاصة في العصر العباسي الأول وقد صار مفروضا استعماله بعد ذلك خلال القرن الثامن الميلادي. (الموسى، 2011، صفحة 212)

وقد كان العلماء على قدر كبير من الدراية والمعرفة باللغات المتعددة، مما جعل النهل من مختلف المعارف الأجنبية - وخاصة اليونانية - أمرا ممكنا وغير مستحيل وقد فتح هذا البعد الجديد آفاقا جديدة للتعرف على ثقافات وحضارات مجاورة ومعارف جديدة. (مفتاح، 2013، صفحة 10)

تعود البدايات الأولى للترجمة الشفهية والكتابية للمخطوط إلى عصر "النبوة"، وإن انحصرت في الجانب "الإداري الديبلوماسي"، إلا أنّ تدفق الأعاجم إلى البلاد العربية فتح الباب على مصراعيه أمام نشأة تعدد لغوي (عربي) (فارسي) (سرياني) (يوناني)، وبهذا أعلن عن قانون تعريب الدواوين وانخراط الإنسان العربي في حركة ترجمة متميزة للمخطوط، ويرجع السبب في ذلك إلى ارتباط حركة الترجمة في تلك الحقبة الزمنية بشكل مباشر بوظيفة نفعية وإستراتيجية انتهجها الخلفاء العباسيون وقبلهم الأمويون. (مفتاح، 2013) فبانتقال الخلافة إلى بغداد أصبحنا أمام مجتمع متعدد الثقافات بالنظر إلى المزيج السكاني المختلف ديمغرافيا وعرقيا، إذ شكل مزيج من المسيحيين واليهود الناطقين بـ"الأرامية" أغلبية السكان المستقرين وكذا الناطقين بالفارسية.

ويعود الفضل أولا في نقل التراث الحضاري الأجنبي إلى اللغة العربية حسب إجماع المؤرخين العرب والأجانب إلى الأمير "خالد بن يزيد" إذ هو أول من أمر بنقل المصنفات العلمية والمعرفية الإغريقية والسريانية، التي كانت مختارة من عدة ميادين كالطب والفلك والكيمياء، إلى اللغة العربية، والمقصود بالمصنفات ما نسميه نحن اليوم بالمخطوطات. كما أن الخليفة الأموي "عمر بن عبد العزيز" هو أول خلفاء "بني أمية" الذي أبدى اهتماما بالترجمة الشفهية والكتابية للمخطوط.

نالت الترجمة في العصر العباسي أهمية كبيرة وخاصة لدى الطبقة الحاكمة ومن ثم ترجمة المخطوط، إذ يعتبر هذا العصر الفترة الذهبية لتطور ترجمة المخطوط وازدهارها سواء من حيث التنظيم أو من حيث غزارة الإنتاج وجودته، ولأسيما عند خلافة "الخليفة المنصور"، وبعده "هارون الرشيد"، ويبقى أبرزهم وبدون منازع "الخليفة المأمون".

ثم جاءت بعد ذلك فترة حكم الخليفين "المهدي" و"الهادي"، غير أنهما أهملتا هذا النشاط العلمي والثقافي والحضاري في آن واحد فتوقفت عجلت الترجمة إلى حين قدوم عهد "هارون الرشيد" الذي جعل ترجمة المخطوط من الأولويات لبناء الدولة العباسية القوية والمزدهرة، واتسم عهده بغزارة الإنتاج الأدبي الرزين والمنتظم الذي خرق صداه الآفاق فوصل إلى الغرب وخاصة بعد ترجمة كتاب "ألف ليلة وليلة" خلال القرن 18 م.

وأصبح للترجمة في عهد الخليفة "المأمون" مدرسة علمية ذائعة الصيت ألا وهي "بيت الحكمة" والتي كان مقرها ببغداد، اهتمت بالأبحاث العلمية المتميزة وكذا الترجمة والتأليف في مختلف المجالات والميادين خصوصا العلمية والفلسفية منها، وقد برز في هذا العصر علماء كبار، على درجة عظيمة من العلم والتبحر في المعرفة مكنتهم من منافسة الأوروبيين، نذكر على سبيل المثال لا الحصر: "الخوارزمي" و"الجاحظ" و"الكندي" وغيرهم كثير، فهناك بالإضافة إلى هؤلاء مترجمون عظماء، ولقد أجمع القدماء كـ"الأندلسي" و"البيهقي" و"ابن أبي أصيبعة" أن حذاق الترجمة في الإسلام أربعة وهم: "حنين بن إسحاق" و"ثابت بن قره الحرافي" و"عمر ابن الفرخان الطبري" و"يعقوب ابن إسحاق الكندي"، إلا أن "حنين ابن إسحاق" يبقى أشهرهم وأمهرهم على الإطلاق وهو رائد حركة الترجمة في العصر العباسي. (مفتاح، 2013)

1.3. "حنين ابن إسحاق" مثال مترجم المخطوط البار والمبدع:

لقد ذكرت الكتب وسجلت أن "حنين بن إسحاق" كان عالما ومترجما عبقريا مُتقنا لأربع لغات معاصرة وهي: "اليونانية"، و"الفارسية"، و"السريانية"، و"العربية"، كما كان مُلتزما بالأمانة العلمية والدقة في الترجمة، إذ كان يعتمد في ترجمته على المعنى وليس على المفردات المقابلة فقط (الترجمة الحرفية بدون معنى).

وقد خلّف إنتاجا غزيرا كما ونوعا، بالإضافة إلى تمكنه من العلوم والمعارف التي يشتغل عليها ما جنبه الوقوع في الأخطاء.

وذكرت الكتب - أيضا- أنه كان فصيحاً طليق اللسان في اللغة العربية، بالإضافة إلى انتباهه أسلوباً علمياً صارماً في عمله الترجمي، إذ اتقانه لعدّة لغات مكّنه من الاعتماد على النسخة الأصلية للمؤلف الذي ينوي ترجمته، أي أنه يقرأ الكتاب المخطوط بلغته الأصل وبدون "لغة وسيطة" حتى تنكشف له المعاني الحقيقة وجمالية النص الأصل، فإذا ما تعذر عليه ذلك، فإنه كان يقرأ نسختين أو أكثر من المخطوط، ليتمكن من المقارنة والموازنة وسد الثغرات المحتمل وقوعها في الكتاب المخطوط.

وقد عمد المترجمون خلال تلك الحقبة إلى إتباع ونهج أساليب للترجمة واحترام ركائز ومقومات لها جعلت ترجماتهم تتصف بصدق النقل ومطابقة المعنى وصحة التعبير مع مراعاة حسن التبويب وإيضاح الهدف والحقل العلمي والمعرفي الذي تنتهي إليه.

ومنه سيسجل التاريخ لـ"حنين ابن اسحاق" ومن عاصره من المترجمين في عصر العطاء والتبادل العلمي والحضاري والثقافي أن "حنينا" لم يكن مترجماً علمياً بارعاً فحسب وإنما كان مترجماً بارعاً للغة المخطوط وعارفاً خبيراً بصناعته.

2.3. بعض المقترحات لإنعاش ترجمة المخطوط والرقى بها:

- استخدام النظم الآلية في معالجة المخطوطات العربية وإتاحتها.
- الاهتمام بالترجمة وتنشيطها بوضع مصطلحات علمية وفنية وأدبية وحضارية موحدة عبر الوطن العربي باستعمال طرق التوليد المختلفة.
- تجديد المعاجم بشكل دائم تماشياً وتجدد الحياة والعلوم والفنون.
- الاهتمام بإحياء ما خلفه الأسلاف من كتب في العلوم والفنون والآداب.
- وضع معاجم لغوية عصرية للمصطلحات العلمية ذات تعريفات محددة.
- إنشاء مركز عربي موحد لترجمة المخطوطات لتفادي الترجمة الفوضوية وحتى لا تتكرر الترجمات للمخطوط الواحد.

- التعاون الدائم بين المترجم ومحقق المخطوطات إذ أن على المترجم إثبات صحة "الملف المخطوط" أو "الوثيقة المخطوطة" من حيث: العنوان، واسم صاحبها، ومنتها (موضوعها ومحتواها)، وختمها، وتوقيع صاحبها أو أصحابها.
- القيام بالدراسات والأبحاث المتعلقة بمجال المخطوطات وترجمتها.

خاتمة:

تزخر الأمة العربية بتراث مخطوط هائل، لذا ينبغي عليها أن تكون أكثر عناية واهتماما بتراثها المخطوط، فبفضله صنعت حضارات شتى وازدهرت، واغترف منها الغرب قرونا عديدة، وأفاد منها في صنع نهضته وإقامة حضارته التي أصبحت تظلل العالم اليوم. وتعتبر الترجمة أهم وسيلة لنقل العلوم وتوسيع آفاق المعرفة وتسريع وتيرة التفاعل الحضاري المثمر والبناء حتى تتجاوز الأطر اللغوية الضيقة لمعرفة العالم وتحقيق نهضة حضارية من جديد، فلولا الترجمة ما عرف العالم في كل بقاع الأرض بحضارة الصين وعبقريّة الفراعنة وحكماء الهند، والأمم الأكثر تحضرا هي الأكثر اهتماما بالترجمة لأنهم على يقين أن قيمة الترجمة لا تقدر بثمن.

المصادر والمراجع:

• المؤلفات / الكتب

1. الزمخشري؛ محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله، أبو القاسم. (1998). *أساس البلاغة*. بيروت: دار الكتب العلمية.
2. أحمد شوقي بنين - مصطفى طوبي. (2005). *معجم مصطلحات المخطوط العربي* قاموس كوديكولوجي (الإصدار 03). الرباط.
3. ديمتري غوتاس. (2003). *الفكر اليوناني والثقافة العربية*. (نقولا زيادة، المترجمون) بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
4. زغريد هونكه. (1981). *شمس العرب تسطع على الغرب* (الإصدار 05). بيروت: دار الآفاق الجديدة.
5. عبد الستار الحلوجي. (2004). *نحو علم مخطوطات عربي*. القاهرة: دار القاهرة للنشر.
6. عبد الله شريف. (2008). *مدخل إلى علم المكتبات والمعلومات*. الاسكندرية: المكتب العربي الحديث.
7. فخري اللفلاح. (2013). *معايير البناء للمناهج وطرق تدريس العلوم*. عمان: دار يافا العلمية للنشر والتوزيع.
8. محمد بن مكرم بن علي ابن منظور. (1988). *لسان العرب المحيط* (المجلد الأول). بيروت: دار لسان العرب.

• الأبحاث في المجلات العلمية / المقالات

9. أحمد بن الصغير. (01 أكتوبر، 2016). *المخطوطات... واقع، ومعاناة*. تاريخ الاسترداد 28 أبريل، 2021، من مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط، على الرابط:

http://www.crsic.dz/index.php?option=com_content&view=article&id=231&catid=108&Itemid=1087&lang=ar#_edn5

10. عبد الله شريف. (1980). المخطوطات العربية، فهرستها وتحقيقها وأماكن وجودها في العالم. مجلة عالم المعلومات (03)، الصفحات 23-26.
11. عبدالعزيز بن فيصل الراجحي. (2010). المخطوطات.. تعريفها وأهميتها. (مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، المحرر) الرياض: مجلة الدعوة. تم الاسترداد من المخطوطات.. تعريفها وأهميتها. على الرابط:
<https://www.alukah.net/library/0/22790>
12. عصام سليمان موسى. (2011). الورق وتطور صناعته في العصر العباسي كوسيلة اتصال فاعلة. مجلة جامعة دمشق، 27 (الثالث والرابع).
13. عثمان الكعاك. (01 ديسمبر، 1964). قضايا الكتاب العربي. المعرفة (36).
14. مجموعة مؤلفين. (2014). علم المخطوط العربي بحوث ودراسات. منشورات مجلة الوعي الإسلامي (79).
15. مؤنس مفتاح. (24 جويلية، 2013). الترجمة عند العرب : من عهد الخليفة المأمون إلى مدرسة طليطلة. تاريخ الاسترداد 27 ديسمبر، 2020، من جريدة القدس العربي على الرابط: <https://langue-arabe.fr/>

• بحث مقدم في مؤتمر كورقة علمية أو ملصق / المداخلات

16. محمود زكي. (أكتوبر، 2018). المخطوط الإسلامي ما بين الفن و الكوديكولوجيا. ملتقى القاهرة الدولي لفن الخط العربي. القاهرة.

• مواقع إلكترونية

17. <https://www.almaany.com>. تاريخ الاسترداد 01 ماي، 2021، المعاني، لكل رسم معنى: <https://www.almaany.com>
18. https://www.almaany.com/ar/dict/ar_
19. Musée Médard .*Malette pédagogique sur le thème des manuscrits du Moyen-Age*
تاريخ الاسترداد 14 جانفي 2021
<https://www.museemedard.fr/sites/museemedard.inexine.net/files/documents/Scolaires/mode%20d%27emploi.pdf>